Diyala Journal
for Human Research
Website:
djhr.uodiyala.edu.iq

مجلة ديالى
للبحوث الإنسانية

p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838

مجلة ديالى للبحوث الانسانية

العدد (106) المجلد (2) كانون الاول 2025

الخطاب الحجاجي في الخطب الطفية (خطب زهير بن القين ، وبرير بن خضير ، والحر الرياحي)

أ.م.د إسراء إبراهيم محمد
م.د أنسام عبد حسن
جامعة ديالى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

Abstract

Argumentation represents one of the central concepts in discourse analysis, as it serves as a fundamental tool for persuasion and the construction of intellectual and emotional stances—particularly within religious and political speeches. This concept gains special significance when studying the Ṭaff speeches, as they embody meanings of protest and deep rhetorical implications through which the figures of Karbala articulate their visions and positions toward injustice and political deviation.

Regardless of what has been said or continues to be said about the term "discourse" in linguistic approaches, modern poetics, or contemporary pragmatics, it ultimately possesses its own parameters and distinctive features that define its semantic identity apart from other terms in the Western terminological system. Despite differing views on how to present a unified understanding of the concept, some approaches have responded to the spirit of scientific inquiry by seeking to frame this broad notion—one that nearly reaches the level of open-ended concepts freely floating across various types of discourse.

Argumentative discourse stands as one of the most prominent mechanisms of influence and persuasion in Arabic and Islamic rhetoric, distinguished by its capacity to guide opinions, construct stances, and affirm values within the consciousness of the audience. Arabs have been familiar with the art of argumentation since the pre-Islamic era; however, in the Islamic context, argumentation acquired deeper dimensions—doctrinal, ethical, and social—and reached its peak during the pivotal moments in the history of the Islamic nation

Email:
israa.ar.hum@uodiyala.edu.iq
ansam.ar.hum@uodiyala.edu.iq

Published: 1- 12-2025

Keywords:

هذه مقالة وصول مفتوح بموجب ترخيص
CC BY 4.0
(http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الملخص

يمثل الحجاج أحد المفاهيم المركزية في تحليل الخطاب، حيث يُعدّ أداةً أساسية للإقناع وبناء المواقف الفكرية والوجدانية، وخصوصًا في الخطابات الدينية والسياسية. ويكتسب هذا المفهوم أهمية خاصة عند دراسة الخُطب الطفّية، لما تحمله من معانٍ احتجاجية، ومضامين بلاغية عميقة، تصوغ عبرها شخصيات كربلاء رؤاها ومواقفها من الظلم والانحراف السياسي.

ومهما قيل وما يُقال حول مصطلح (الخطاب) في الاتجاهات اللسانية أو عند أصحاب الشعريات الحديثة أو في التداوليات المعاصرة، فهو في النهاية له مُحدّداته وسماته الخاصة، التي تُميز هويته الدلالية عن غيره من المصطلحات في الجهاز الاصطلاحي الغربي، على الرغم من تباين وجهات النظر في تقديم فهم توافقي له، وقد استجابت بعض المقاربات لروح العلم، فسعت إلى تأطير هذا المفهوم العام الذي يكاد أن يصل إلى مستوى المفهومات المفتوحة، الطافية بحرية تامة في مختلف الخطابات. ويُعدّ الخطاب الحجاجي من أبرز آليات التأثير والإقناع في الخطاب العربي والإسلامي، لما يمتاز به من قدرة على توجيه الرأي، وبناء المواقف، وتأكيد القيم في وجدان المتلقي. وقد عرف العرب فنون الحجاج منذ العصر الجاهلي، إلا أن الحجاج في السياق الإسلامي اكتسب طابعًا أعمق، إذ تداخل فيه البعد العقائدي، والأخلاقي، والاجتماعي، وبلغ ذروته في اللحظات المفصلية من تاريخ الأمة الإسلامية.

المقدمة

يعد الخطاب وحدة لسانية متكونة من جمل متعاقبة وهو استعمال اللغة في مقام خاص استعمالا ينتقي القيم ويمكن أن يحدث قيما جديدة و يحضر البعد الذهني والبعد الاجتماعي، فالخطاب نوع من أنواع الإقناع لإشاعة قيم جديدة أو دحض قيم قديمة.

ويمثّل الخطاب الطفّي، أحد أبرز نماذج البلاغة الحجاجية في التراث الإسلامي، بما يحمله من مضامين فكرية وأبعاد وجدانية وروحية. غير إن هذا الخطاب كثيرًا ما دُرس من منظور ديني وعاطفي فقط، دون التعمّق في أدواته الحجاجية وآلياته البلاغية التي منحته هذا التأثير المتجدد عبر الأزمان. فالنص الحجاجي قادر على تأسيس وعي لا يستقبله ويتفاعل معه فقط إنما يبنيه ويتجدد معه قيميا ويحمله عبر تحولاته ليظل فاعلا ومؤثراً تأريخياً

وتُعدّ واقعة الطف امتدادًا لصراع طويل على الشرعية السياسية والدينية في الإسلام بعد وفاة النبي محمد (صل الله عليه وآله وسلم). وتمثل خطب كل من (خطبة زهير بن القين ، و خطبة برير بن خضير وخطبة الحر بن يزيد الرياحي (عليهم السلام) ذروة المواجهة مع النظام الأموي القائم، حيث وظّف الحجاج الأخلاقي والعقلي لتعرية الظلم وتأكيد الموقف العقائدي المقاوم. وتمثل خطبهم (عليهم السلام)

في الطفّ نماذج خطابية فريدة في البلاغة الإسلامية، فهي ليست فقط خطبًا وعظية أو دينية، بل بيانات ثورية مشبعة بالحجج العقلية، والعاطفية، والشرعية.

المبحث الأول: الإطار النظري والتمهيدي (المفاهيم النظرية للخطاب والحجاج).

يعد الخطاب (المقابلة بين طريقتي نظر إلى الوحدات المتجاوزة للجملة : باعتبارها وحدات لسانية "ملفوظ"، وباعتبارها أثر فعل تواصل محدد اجتماعيا وتاريخيا) [1] ، والخطاب يتجاوز الجملة أو البعد اللساني لأنه موجه، أي أنه (يبنى حسب غاية ويعدَّ سائرا نحو جهة ما) [2]. وهو خصوصي أي صادر عن مخاطب محدد، ومادي في حالة الخطاب الشفهي، أو يحيل بطريقة ما إلى مؤلف تاريخي في حالة الخطابات العلمية والنقدية. والخطاب محكوم بمعايير منها ما يعود إلى جنسه، فالخطاب الإبداعي الأدبي يختلف عن الخطاب النقدي الأدبي. ومنها ما يعود إلى المنهج المتبع فيه وما يتبعه من إجراءات وآليات نقدية، وهذه معايير خصوصية [3] . يقابلها معايير عمومية كالبنية الذهنية التي تتحكم بالحقبة النقدية وتوجد توافقا حول دور النقد والناقد والخطاب النقدي، وهي أدوار تختلف من حقبة إلى حقبة ويختلف تأثيرها في الخطاب النقدي، وينطوي النص الحجاجي على احتمالات نسقية وإحالات إشارية ذات ابعاد ثقافية فاعلة تتوسل باللغة وانظمتها المتشابكة من أجل تشكيل فضاءات ما ورائية للمعنى في إطار السياق الكلي للنص)[4] ، ونتيجة لتفاعل الذوات الحجاجية في بنية المقولات الحجاجية وما يكتسي هذا التفاعل من جدال واقناع وتأثير تسعى الذوات إلى البرهنة واثبات الفاعلية، فإن النص الحجاجي يصبح مداراً لدلالات كثيرة مما يجعل النص غير مغلق على جهازه اللغوي والمعنوي) [5]، وتقدم المعجمية العربية رؤيتها للحجاج إذ تدور معاني الجذر اللغوي لكلمة (حجاج) (حج (ج) على المجادلة بسبب خلاف الوجهة أو الرأي أو ما شابه، وفيه الدليل على الرأي المرغوب إثباته، وهذا ما نجده وارداً في بعض المعجمات العربية، فمنها من أورد معنى الحجاج (غلبه بالحجة، أو حاجة محاجة، وحجاجاً جادله، واحتج عليه، أقام عليه الحجة، وعارضه مستنكراً فعله، وتحاجوا تجادلوا، والحجة الدليل والبرهان) [6].

يظهر من هذا القول أن الحجاج يكون الخصومة، وهذا ما دلت عليه كلمة (غلبه) وتكون الغلبة في الكلام والخطاب الذي يقيم الحجة والبرهان على صحة ما يدعى، وما دام هناك خصومة فالجدال هو المظهر الذي يجسد صورة الخطاب الحجاجي [7]،وقد ورد في أساس البلاغة (حاج خصمه فحجه، وفلان خصمه محجوج) [8]، ومعنى محجوج أي: مغلوب والشخص المتكلم الغالب المحاجج والسامع المحاجج المغلوب أي أنه اقتنع بحجة المتكلم.

ومما يزيد هذا المعنى قوة ما قيل في لسان العرب فالحجة ما دوفع به الخصم، ورجل محجاج أي جدل والتحاج التخاصم، واحتج بالشيء اتخذه حجة) [9]، وإذا ما تفحصنا المقولات المعجمية [10]. وكذلك

البلاغة الأرسطية في الخطاب الحجاجي [12]، فإننا نلحظ أنها تتقاطع لتتمحور حول البرهانية والاستدلال في علاقتها بالحجاج ولهذا يدرك الحجاج بوصفه (حججاً منطقية إقناعية دفاعية توظف من قبل المجادل بغية اقناع الجماهير [13]. وأما بيرلمان فإنه يحدد الحجاج اصطلاحاً في ضوء البلاغة المعاصرة بوصفه: (جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة تحفز المتلقي على الإقناع بما تعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع) [14]. وبذلك يعد الحجاج خطاباً ذا إقناعية تروم دفع المتلقي إلى تغيير اعتقاداته، وتبني ثقافة وسلوكات وتصرفات منشودة، انطلاقاً من حجج ملائمة الثقافة المتلقي المفترض وتمثلاته) [15]، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته) ، والحجاجية وهي المصطلح المفضل لدى إريك كراب تتبني على جملة من التصورات والمقدمات والفرضيات التي ينسج منها المحاجج خططه البرهانية، فبهذه المقدمات يستمال المعنيون، كما أن لهم الحق في رفضها إذا لم تنسجم مع تصوراتهم، أو كانت من البساطة أو السطحية بحيث لا تمثل أي عنصر جذاب) [16]. كما نرصد تعريفاً آخر للحجاج بالنظر إليه على إنه وسيلة المتكلم في جعل المتلقي يتقبل آراءه واتجاهاته، وانتقاداته وتوجيهاته [17] .

ويكاد يُجمع كلُّ المتحدثين عن (الخطاب) على ريادة (ز. هاريس ١٩٥٢م)، في هذا المضمار من خلال بحثه المعنون بـ (تحليل الخطاب) وقد عرّفه من وجهة نظر لسانية بحتة بأنّه "ملفوظٌ مطوّل، أو هو متتالية من الجُمَل تُكوّن مجموعة منغلقةً يُمكن من خلالها معاينة سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض "[18]. ويذهب باحث فرنسي لتعريفه للخطاب من منظور مختلف أثرٌ بالغٌ في الدراسات الأدبية التي تقوم على دعائم لسانية هذا الباحث هو (بنفنست) الذي يُحدّد الخطاب بمعناه الأكثر اتساعا بأنه "كل تلفظ يفترض مُتكلّمًا ومستمعًا، وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما[19]، أو هو بتعبير آخر ل(بنفنست) "أي منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راو ومستمع، وفي نية الراوي التأثير على المستمع بطريقة ما [20]. وانطلاقاً من هذا التعريف العام سنكون أمام تنوع وتعدد الخطابات الشفوية التي تمتد من المخاطبة اليومية إلى الخُطبة الأكثر صنعة، وزخرفة، وإلى جانب هذا النمط من الخطابات الشفوية نجد كتلة من الخطابات المكتوبة التي تُعيد إنتاج الخطابات الشفوية وتستعير أدوارها، ومراميها من المراسلات إلى المذكرات والمسرح والكتابات الروائية والقصصية... وباختصار شديد كل الأنواع المكتوبة التي يتوجه فيها متكلّم إلى متلق". [21]، ويُحدّد كل من (هندس وهيرست ١٩٧٧م) (الخطاب)، من منظور آخر، بأنه أفكار وضعت في نظم مُحدّدة من التعاقب، مُنتجَةً لآثار محددة "طرق القضايا، نقدها، حلّها، هي بمثابة نتيجة لذلك النظام "[22].

المبحث الثاني : سمات الخطاب الحجاجي في الخطب الطفّية المختارة.

ارتبط السلوك النقدي بالفلسفة والفكر، فكانت نهضة الحكم القيمي مرتبطة ببواكير المعطيات الحسية والمادية ، ومتساوقة مع التطور و الانتقال التدريجي باتجاه فهم الماهيات من خلال البحث عن المعنى

والدلالة، ومما ساعد على تطور النقد الأدبي هو تحول الفرضيات العلمية إلى مناهج نقدية تفيد من العلوم الإنسانية والصرفة.

وتعد التقنيات الحجاجية بواسطة اللغة قديمة قدم الفكر الإنساني نفسه ، ويعد (أرسطو) من أبرز المنظرين للنص الحجاجي من أمرين:

الأول – إهتمامه بالخطابة وفن الإقناع ومحاولة ربطهما بالبلاغة القديمة.

والثاني – الرؤية الفلسفية الأرسطية القائمة على الاستدلال المنطقي الذي كان وما يزال أحد الركائز الأساسية فى الدراسات الحجاجية [23]،أما الصورة: فهي نص مرئي غير مكتوب يمتاز بصفة الشفافية والتكثيف يستمد ثراءه المعرفي من تعدد قراءاته في اللغات المختلفة وتكمن قوتها القصدية في ثبات الشكل (الدال) وتعدد المفهوم (المدلول). وهي وسيلة ثقافية يبدأ بها الخطاب، ويكتمل مع التأويل [24]، ويوجز أصحاب (المعجم الوسيط) بيانها فيقولون: هي الشكل والتمثال المجسم [25]. ولعل في الإيجاز الأخير منفعة ؛ لأنه يحيل القارئ إلى مفهوم الأيقونة وعلاقتها بالدرس السيميولوجي، وهذا يعني أن للصورة المرئية التي يتقصد الإنسان الحي في انتاجها سواء أكانت الجامدة (الأيقونة) . وأعني بها هيئة الإنسان الخارجية ، شكله، ملامحه، ثيابه، ما يحمله من أدوات وغيرها – أم المتحركة – وأقصد بذلك حاله الخارجي المرئي (حركة وجهه، مشيته، ردة فعله وغيرها دلالة يحسن صناعتها وبثها عدد موهوب من البشر لغرض التواصل مع المتلقي ومن ثم التأثير عليه. وقد أطلق على هذا الخطاب (خطاب الصورة المرئية) . فصانع الصورة عنده فكر يسعى إلى التعبير عنه أو إيصاله إلى المتلقي عبر حركته أو مشيته أو هيئته الجامدة، ونحن عبر الصورة نحاول دراسة هذه الأفكار وبيانها [26] ،ولعل في تحليل الخطاب الحجاجي المستشف من خطب معركة الطف الخالدة خطب كل من زهير بن القين ، و خطبة برير بن خضير وخطبة الحر بن يزيد الرياحي ، دراسة خصبة تحاول الجمع بين إجرائية التحليل في ضوء الدراسة الممهدة إلى كشف تقنيات التحاجج وإدراك الوظائف المتوخاة من النص، التي من خلالها يتم معرفة مضمون الخطاب بشكل عام والخطبة بشكل خاص .

وهذا ما نريده من الصورة المرئية في بحثنا هذا، فهو الهيئة المدركة بالعين الباصرة ، المجبولة على إدراك المرئيات بطريقة فسيلوجية ، ولا تحتاج هذه الصورة إلى زخرف خيالي يقربها من المعاني الذهنية لاشتمالها على المبالغة والتهويل ؛ بل هي صورة واقعية تعبر عن الحقيقة وتمنح نفسها للقراءة بغض النظر عن المستوى الثقافي للمتلقي . فضلاً عن إحالة المتلقي إلى مساحات فلسفية وفكرية يستند إليها الباث و المتلقي معا ، ذلك لكونها تستمد دلالات بنائها من جذور دلالية فكرية وتعبيرية مشتركة فالصورة المرئية في معركة الطف استمدت طاقتها الرمزية من صاحب الصورة نفسه الإمام الحسين (عليه السلام)، أما قوتها التعبيرية فقد استمدتها من الاكتناز المعرفي القار في الوعي الجمعي للمجتمع

وما يحمله من أبعاد قدسية لصاحب الصورة المرئية ، والخطاب والصورة المرئية يرتبطان . في معركة الطف – برباط الحجاج ؛ إذ يسعى كلاهما إلى إنتاج لغة مرئية حجاجية هدفها دفع المتلقي (الجمهور المحتشد) إلى تغيير سلوكه الحسي والذهني في ساحة المواجهة .

وتأتي أهمية هذه الخطب من كونها موجهة إلى جمهور مستمع حاضر، ضمن مساحة فكرية صالحة للخطاب الحجاجي، يحاول فيها المحاجج إقناع المتلقي وثنيه عن إيمانه القديم عبر عدد من الاستدلالات التي لا تقف عند حدود الاستدلالات البصرية، فتأتي هذه الاستدلالات اللغوية لتحاول أن تغطي أهم تقنيات الخطاب الحجاجي المستهدف للإقناع والإثبات . كما أنها إعادة تثوير واعية لكل البنى الفكرية والقيم التي يحملها موضوع النص الحجاجي لتطرح كمقابل لقيم وبنى الخصم، والتي غالبا ما تمثل بنى وقيم منافية للقيم الانسانية الراسخة التي يتبناها المجتمع المخاطَب. إن الخطاب الشفوي الحجاجي له قوانينه وأحكامه، يلجأ إليه الخطيب في كل ما هو خلافي يستدعي الخصومة والبحث عن الحجج، فالحجاج الجدلي والحجاج الخطابي لا يكونان عند أرسطو إلا حيث يكون الخلاف [27].

وهذه القوانين هي مقدمات القياس التي يأتي بها الشخص لإقامة الحجة على أي مطلب كان حقاً أو باطلاً ، لإلزام الخصم. وتتألف مقدماته من المشهورات، وهي القضايا التي اتفقت عليها آراء الجميع ، أو آراء طائفة خاصة. ومن المسلمات وهي القضايا التي يسلم بها الخصم ويقبلها... أن البرهان أو الحجة الصادقة تنتج وتستنبط من المقدمات وهذا يعني الصحيحة [28] ، ولم يترك الحسين عليه السلام وأصحابه في المعركة وسيلة من وسائل الحجاج إلا وطرقوها، علهم أن ينجحوا في ثني أعداء البيت النبوي من فعلتهم .

والصورة المرئية في معركة الطف من حيث كونها رسالة حجاجية ، فإنها تمارس جذب انتباه الجمهور وخرق أفق التوقع عنده، فالذي يرى ليس كالذي سمع، فحاسة البصر لها أهمية كبيرة في شعور الانسان ومقدار فهمه، ودرجة إيمانه، وإن الذي تعجز عنده الكلمات لوقر في أذنيه ؛ فإنَّ الصورة كافية لإفهامه وايصال المقصدية إليه.

وفي النص الطفي سمات وخصائص مائزة ، استطاعت أن تضمن للحجاج الشفاهي نجاعته وللأسلوب الخطابي بلاغته ، من خلال دراسة القياس الأرسطي في الخطب الطفية و الوقوف على مضامين الخطاب الشفاهي ، واستجلاء جماليات الأداء الحواري على أرض الطف التي شرفها الإمام الحسين (عليه السلام) ، ومن ثم الوقوف على آليات الحجاج، ودروب الإقناع، بغية ملامسة محاولات خطباء الطف لتغيير ما اعوج من مفاهيم القوم وسلوكهم .

وتأتي أهمية هذه الخطب من مناسبتها الخطيرة، فهي خطب يلقيها الإمام المعصوم وأصحابه في ظروف سياسية واجتماعية ودينية حرجة اتسمت ببداية المحاولات الحثيثة لطمس الإسلام وإخفاء معالمه الباسقة،

وإرجاع الأمة إلى جاهلتها المظلمة. وقد استطاعت هذه المعركة بما فيها من فم ودم من إفشال المخطط الشيطاني، وإتمام الدور الرسالي، والوحي المحمدي من كوة إمداد البناء الإسلامي بأسس منيعة على أعداء دين الله وأوليائه.

ومما لا جدال فيه أن النص الخطابي(أو أي نص أدبي) له قوانينه وأحكامه التي لا غنى للأديب أو المحاجج عنها في إيراد الأدلة والبراهين، ولهذا لا يكاد الخطباء يكفون عن طلب الإقناع، وإثبات الحجة بعد الحجة، عبر الجدل مرة ، والاستدراج المنطقي المستخلص من التعالق النصي مرة ثانية ، فالحجاج الجدلي والحجاج الخطابي لا يكونان عند أرسطو إلا حيث يكون الخلاف [29]، وهذه القوانين هي مقدمات القياس التي يأتي بها الشخص لإقامة الحجة على أي مطلب كان حقاً أو باطلاً ، لإلزام الخصم. وتتألف مقدماته من المشهورات، وهي القضايا التي اتفقت عليها آراء الجميع، أو آراء طائفة خاصة ومن المسلمات وهى القضايا التي يسلم بها الخصم ويقبلها ...) وهذا يعنى أن البرهان أو الحجة الصادقة تنتج وتستنبط من المقدمات الصحيحة، ويقصد بالمقدمة المحمول اللفظي الذى يتعالق مع الأقسام النصية الأخرى لإنتاج الحكم [30]. ((والعلاقات النصية التي يقيمها سياق النص الإقناعي من خلال عرضه على مفهوم النص العام، هي علاقات الدعوى أو النتيجة، ويشترط من منظور دلالي أن يرتبط محتوى النتيجة بمحتوى المقدمات [31] ، وهذا يعني أن الحجاج يستلزم سياقاً حجاجياً، تتحدد قوته بجمله اللغوية وتعالقها النصي، الذي يفضي في النهاية إلى حجة أو دليل لغوي. والمقدمات التي اشترطها المنهج العقلي لتنظيم التعالق النصي/ الدلالي لولوج ساحة الإقناع.

لم يدخر الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه وسيلة من وسائل الحجاج إلا واستعملوها، أو آلية من آليات الإقناع إلا وطرقوها، رغبة منهم في إثارة المتلقي وإفحامه ؛ لتغيير معتقداته الفاسدة وقناعاته المشوهة، وتزويده بطاقات تنويرية لاتخاذ قرارات حاسمة في إصلاح الذات والمجتمع ؛ لذا لم يتوقفوا عند حدود ما هو عقلي فحسب، فتكون الاستراتيجية العقلية القابلة للقبول والرفض هي المتكأ القضائي الوحيد في التأثير على العقل، فالعقل – أحياناً . تحكمه آراء وعقائد وإيدلوجيات تقيد حريته في اتخاذ القرارات الحاسمة وتنفيذها، لذا توجب على الباث بناء أنماط جديدة من الحجج، تثير انتباه المتلقي وتأمله معاً، فتخلق نوعا من الثقة بين الخطيب والجمهور تستند إلى المساحة القبلية والثقافية والدينية المشتركة بين الطرفين.

وعبر تحليل النص الحجاجي للخطب الطفية، وجدنا أن هذه الخطب تكشف عن استراتيجيات جديدة لا يخاطب فيها المرسل عقل المتلقي فقط ؛ بل يحاول إثارة عواطفه وأهوائه، واستثمار ما يمكن أن يكون قد تبقى من فطرته ووجدانه ؛ ليحوله من حالة إلى حالة، عبر الحب والإشفاق والألم والخوف [32]. أي أن

هذه الحجج تمارس دورها الإنساني والسايكلوجي، وليس المنطقي والعقلي الذى تمت دراسته في المبحثين السابقين في تطهير النفس وإعادتها إلى جادة الصواب من كوة حمل السامع على التفكير والإحساس معاً. ففي الخطبة الزهيرية (خطبة زهير بن القين) كما ذُكرت في كتاب مقتل الحسين (عليه السلام) للعلامة السيد عبد الرزاق المقرم: (خرج إليهم زهير بن القين على فرس ذنوب وهو شاك في السلاح) [33] ، وهي أولى الصور الحجاجية المرئية التي يستعملها زهير في المعركة، فالصورة المرئية هي آلية حجاجية يلجأ إليها الخطيب الشفاهي – في الغالب – والإعلامي – بشكل عام . من أجل الجمع ما بين الفكرة والبرهان تحت مظلة العقل [34]، كما أن مرئية الصورة قادرة على إعطاء الخطاب بعداً تجسيدياً ودراميا يسهم في إضفاء أبعاد درامية وتأثيرية على القيم والأفكار التي سيقدمها الخطاب بعدها، فزهير عندما خرج لنصحهم لم يخرج خروج المتخاذل المنكسر، ولا الضعيف المنبهر من كثرة جند الباطل وعدته ؛ بل خرج شاكي السلاح، متوثب القوى، عازما على الدفاع عن حرم محمد المصطفى (صل الله عليه وسلم) ، مؤمنا أن القتال بين يدي أبي عبد الله الحسين جهاد في سبيل الحفاظ على بيضة الاسلام، فلبس لباس التقوى، وتدرع بدرع الله الحصينة، وتقدم أمام جيش عمر بن سعد يتحداهم، ويعلن بإيمان راسخ استعداده للقتال والتضحية بنفسه في سبيل دين الله المهدد بزوال أركانه المنيعة. ثم عضد هذه الصورة بخطابه البليغ الذي أثنى عليه الإمام الحسين السلام فقال : (لعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح قومه وأبلغ في الدعاء، فلقد نصحت هؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ) [35]. أي أن الصورة أو الهيئة التي خرج بها زهير تحيل المتلقي إلى خطاب موازي عمادة اللغة المحكية، فالصورة المرئية تعطي مركزية للحرب والإقدام قبالة هامشية التخاذل والانسحاب، وفي مقابل تلك الصورة نجد النسق اللغوي المتماسك والهادر الذى لا يقل فصاحة وبيانا عما قيل (أفبالموت تخوفني ؟ فو الله للموت معه أحب إليّ من الخلد معكم ، ثم أقبل على القوم ...)[36] . ولقد أشار زهير إلى هذه النكتة في خطبته حين قال : (إنَّ حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم ونحن حتى الآن إخوة على دين واحد ما لم يقع بيننا وبينكم السيف وأنتم للنصيحة منا أهل، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا أمة وأنتم أمة) [37]. وهذا يعني أن القتال بين المسلمين يسقط العصمة فيمسى طرف منهم على دين آخر، فما بالك بمن يقتل رسول الله (صل الله عليه وسلم) فهل يبقى له من إسلامه شيء .

ولا نروم الإشارة إلى كل الوسائل الحجاجية التي رام فيها الخطباء الثلاثة عبر المزج بين الحجة العقلية و الأثر العاطفي، بل سنشير إلى وسيلتين مهمتين فحسب، وتأتي أهميتهما من كثرة استعمالهما في الصور الحجاجية، وقربها من المزاج السائد للشخصية المحاورة. وهاتان الوسيلتان هما :

ا – الاستهلال أو الابتداء : الذي استعمله الإمام الحسين للام وكذلك أصحابه استعمالاً مائزاً ليراعي فيه الخطيب بين بلاغة الصورة والمقام التواصلي .

2- الاستشهاد بالقرآن الكريم : بوصفه حجة / سلطة ، يخضع لها المرسل والمرسل إليه على حد سواء .

١ - الاستهلال

والاستهلال عند (ابن منظور) هو رفع الصوت أو الصراخ، ويلجأ إليه الخطيب لإثارة السامع وشد انتباهه إلى ما يقول، وهو في الاصطلاح [38] .

وهو التوطئة التي يعتمدها المتكلم للولوج إلى موضوعه الأساس[39] ، لذا تتسم بالتكثيف و قرب الدلالة وأجد أن رديفها (الابتداء) وليس (الافتتاح)، كما ذهب إلى ذلك عدد من الباحثين في هذا المضمار [40]، فمن الابتداء نستشف بدأ - يبدأ - بداية، والبداية هي أول كل موضوع ونواته. ومن الظريف أن (أرسطو) في كتابه (فن الخطابة) يجمع بين الإثنين فيقول : إن الاستهلال (هو بدأ الكلام) [41]، والاستهلال ليس عنصراً منفصلاً عن النص الإبداعي للخاطب، وليس بنية مغلقة يمكن عزلها عن البناء الفني العام للخطبة ؛ بل هو جزء فني يمتلك خصوصية معينة، لكونه يمثل بداية الخطبة، والإرهاصة الأولى لما بعدها، فكل خطبة (أو أي عمل أدبى آخر) لا بد له من نقطة للاستهلال يكشف فيها الخطيب عن هدفه من المقال أو غايته من الحديث، بمعنى آخر إن الاستهلال وأجزاء الخطبة الأخرى نسيج واحد ؛ بيد أن الخاطب يختار بداية جديرة باهتمام الجمهور وداعية للاستماع والانتباه، وفي الوقت نفسه متأثرة ومنساقة وراء المناخ الخاص للخطبة سياسيا كانت أم اجتماعياً أم دينياً.

وفي الخطب الطفية كثرت المواقف المثيرة، وكثرت أهداف الخطباء وسبلهم، بسبب تعدد الحوارات واختلاف أرضية الخاطب والخطيب ،

ولقد استعمل الشيخ برير بن خضير رضوان الله عليه صياغة (يا معشر الناس)، واستعملها مرة واحدة (يا معشر الناس إن الله بعث محمداً بشيراً وداعياً إلى الله وسراجاً منيراً، وهذا ماء الفرات تقع فيه خنازير السواد وكلابه، وقد حيل بينه و بين ابن بنت رسول الله) [42]،وهذه السمة الإشارية تعد زيادة في القصد والتخصيص ؛ لأن حرف النداء هنا (يا) يضاف إلى كلمة (معشر) وهي لفظ يطلقه العرب في العادة على الرجال - دون النساء - الذين جمعوا أمرهم على قضية ما [43]. وهو استعمال ألفه العرب في خطبهم وحواراتهم الجاهلية ؛ لذا أجد في هذا النداء غمزاً و إيماء إلى جاهلية القوم وكفرهم، وعدم استحقاقهم للخطاب الإسلامي. فهو تلميح إلى تأثير سياقات الجاهلية على نفوسهم وعودتها إليهم وارتدادهم عن دين الرسول.

أما صياغة (يا أهل الكوفة فقد وردت ثلاث مرات في خطب العاشر من محرم الدامي، فقد ذكرها زهير بن القين) و(برير) و (الحر) رضوان الله عليهم. ففي خطبة زهير «يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله) [44] ، وفي خطبة (برير) «يا أهل الكوفة أنسيتم كتبكم وعهودكم التي اعطيتموها وأشهدتم الله عليها

وعليكم؟ أدعوتم أهل بيت نبيكم وزعمتم أنكم تقتلون أنفسكم دونهم حتى إذا أتوكم أسلمتموهم إلى ابن زياد وحلأتموهم عن ماء الفرات بئسما خلفتم نبيكم في ذريته ما لكم لا سقاكم الله يوم القيامة [45].

وفي خطبة (الحر) يا أهل الكوفة لأمكم الهبل والعبر إذ دعوتموه وأخذتم بكظمه وأحطتم به من كل جانب [46] ، وصياغة (يا أهل الكوفة)، تتألف من إضافة النداء إلى (المصر) أو (المكان) الذي ينتمي إليه المخاطب، وفيها تلميح بأيسر القول إلى ثلاث قضايا مهمة هي :

أولاً : أن هذا النداء يفيد إثارة الانتباه ويطلب حسن الاستماع، لاشتماله على التأكيد المضمر الذي يضيع بضياع الانتباه .

ثانياً : إن عدول الخاطب عن صياغة (يا معشر المسلمين) أو (أيها المؤمنون) التي تشعر المستمع المسلم – وحتى غير المسلم – بالاطمئنان إلى صياغة (يا أهل الكوفة)، يعني توجيه رسالة شديدة اللهجة، تحمل فيها أهل الكوفة وجيشها المحتشد للحرب عواقب محاربة العترة الطاهرة.

ثالثاً : إن الخطباء عبر صياغة (يا أهل الكوفة) يلمحون إلى تحميل أهل الكوفة بالذات جرم استقدام الحسين (عليه السلام) من المدينة وخيانته؛ بل إن الحر (عليه السلام) يصرح بعد الغمز بهذه النكتة عند قوله: «إذ دعوتموه وأخذتم بكظمه واحطتم به من كل جانب [47]. وربما (برير بن خضير) كان أكثر صراحة «يا أهل الكوفة أنسيتم كتبكم وعهودكم التي أعطيتموها وأشهدتم الله عليها وعليكم » [48]، ويستعمل هذا الاسلوب عندما يريد الخاطب جلد المستمع المخاصم بسياط لفظه وتوبيخه، لذا يستعمل بعد ملفوظ (يا أهل ذلك المكان) استراتيجية الهجوم اللفظي وإثارة مكامن الرعب عنده من كوة إرهابه وشتمه . كما أنها تأتي كتخصيص لهم دون غيرهم ليكون الخطاب بدلالاته أكثر تأثيراً بهم بفعل هذا التخصيص.

ففي خطبة الحر نقرأ بعد ذلك النداء (لأمكم الهبل)، والهبل : هو الشكل [49]، ويقال : هبلته أمه أي ثكلته وهو دعاء يستعمله المتكلم للاستهجان و الاحتقار . وفي خطبة برير نقرأ أنسيتم كتبكم وعهودكم.... لا سقاكم الله يوم القيامة فبئس القوم أنتم [50] . ،والخاطب هنا يصف عدوه بالظلوم الجهول الذي لا يرعوي من سخط الله وغضبه، وهو ملفوظ مشحون بالخوف والرهبة والوعيد .

أما في خطبة(زهير بن القين) فالخطيب أكثر قوة وقسوة في تعامله مع أعداء الله ورسوله، إذ نجده يستعمل صوراً شتى للدفاع عن الركب الحسيني عبر تحقير أعدائهم وإذلالهم، ومن هذه الطرق : إنذار القوم وتخويفهم من غضب الله وبطشه نذار لكم من عذاب الله ...، [51] ،و تخويف الجمهور المستمع من أنَّ قتل الحسين (عليه السلام) يعني قطع الحبل المتصل بالسماء، فلا إسلام ولا سعادة بعد مقتل السبط المطهر، (نحن) إخوة على دين واحد فإذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا أمة وأنتم أمة) [52] ، والترهيب من هيمنة السلطان الجائر على السلطة إنا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية يزيد وعبيد الله بن زياد فإنكم لا تدركون منهما إلا سوء عمر سلطانهما»[53]. والترهيب باستعمال الصور المخيفة عبر

التشبيهات العنيفة يسملان أعينكم ويقطعان أيديكم وأرجلكم ويمثلان بكم ويرفعانكم على جذوع النخل [54]، وقد تحققت هذه النبوءات والصور العنيفة في أغلب الكتب التي سردت لنا التاريخ الأموي، فدونت لنا كيف صلب ميثم التمار وكيف قتل هانئ وحجر وأضرابهم .

2- الاستشهاد بالقرآن الكريم

تزخر الخطب الطفية الحسينية بالبراهين القرآنية والشواهد المقدسة التي تتفق دلالتها مع المرمى الخطابي في كل مقام، وقد تعددت هذه البراهين مع تعدد الموجهات اليقينية المستعملة لحمل المستمع على الاقتناء ومن الصعب الاحاطة بهذه الموجهات جميعها، لذا سنحاول تلمس ايسرها تمظهرا في الخطاب الشفاهي وأقربها إدراكا للوعي، وفي خطبة (برير) نقرأ (إنّ الله بعث محمد بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله وسراجاً منيراً، وهذا ماء الفرات تقع فيه خنازير السواد وكلابه وقد حيل بينه وبين ابن بنت رسول الله أ فجزاء محمد هذا [55]. ويتجلى في نص (برير) (رضوان الله عليه) عمق الأثر القرآني مع شدة تأثره به فلا يفصل الخاطب بين كلامه وكلام الكتاب المقدس. وفي خطبتي (زهير بن القين) و(الحر بن يزيد الرياحي) وكلامهما في يوم العاشر من محرم ما يشبه هذا التفصيل والتوضيح . ولا شك في أن الصورة تعني التأثير الذي يتركه النص الخطابي في نفوسنا، بمعنى آخر هي التفاعل المثمر بين التخيل / الفكرة والرؤية الحسية، ويتم ذلك عن طريق اللغة التي يعلو على قمتها الذوق الفني. واللغة القرآنية لغة إعجازية تمتلك طاقات تعبيرية وذوقية بالغة الدقة، ما يمنح الصورة القرآنية جنبتين : الأولى جمالية، وهذا ما تتصف به السور القرآنية والثانية حجاجية تستمد قوتها من مقصديتها الوظيفية. لذلك نجد حضورها مائزاً في الخطب الإسلامية لاسيما في خطب رجالات الطف، الذين أكدوا على الشاهد القرآني (بوصفه حجة ينضوي على سلطة مطلقة يستمدها من الكتاب المقدس من ضمن أنساق أخرى للشاهد) [56].

ففي خطبة زهير بن القين يعمد الخطيب إلى الرمز الفني الذي ينوء بحمل الصورة القرآنية، التي تثير في ذهن القارئ الماض بتجاربه المريرة والحاضر بواقعه المزري (إنا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية يزيد وعبيد الله بن زياد فإنكم لا تدركون منهما إلا سوء عمر سلطانهما، يسملان أعينكم ويقطعان أيديكم وأرجلكم ويمثلان بكم ويرفعانكم على جذوع النخل[57] ، وهي إحالة خفية إلى سلطة فرعون الغاشمة، وطبيعة قيادته الظالمة للمجتمع في بني إسرائيل، التي يسردها القرآن الكريم في سورة الأعراف ((قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لتخرجوا منها أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّن خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ)) . (سورة الأعراف / ١٢٣ – ١٢٤)

ويتسنم الحوار خطبة (زهير) ، وعبر الحوار يحاول رضوان الله عليه استعمال الحجة العقلية المستندة إلى التاريخ المضمر في القصة القرآنية ،فيستجليها كلها مع خواطرها النفسية وانفعالاتها الداخلية، فهو يشير من كوة المقابلة الصورية أن (يزيد) و (عبيد الله بن زياد)لا يختلفان بشيء عن (فرعون) و (هامان) ؛ لأنَّ التفرد بالسلطة والتمرد على الذات الإلهية يورث البغي والعدوان والحسد وإلغاء الآخر المختلف بالرأي أو السلوك وأن التنبؤ (صورة المجتمع الكوفي المستقبلية) المناسب للحكم الأموي هو الصورة الماضوية للحكم الفرعوني، وتتسم هذه الصورة بالقمع والإرهاب وإقصاء المعارضين، فضلاً عن اشتمالها على صور مرعبة ومشاهد مقززة تدل على جرم الحاكم وذل المحكوم.

مرفق// الخطب الثلاث

1. زهير بن القين.

و خرج إليهم زهير بن القين على فرس ذنوب و هو شاك في السّلاح فقال : يا أهل الكوفة ، نذار لكم من عذاب الله إنَّ حقّاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم ، و نحن حتّى الآن إخوة على دين واحد ، ما لَم يقع بيننا و بينكم السّيف ، و أنتم للنصيحة منّا أهل ، فإذا وقع السّيف انقطعت العصمة ، وكنّا أُمّة و أنتم أُمّة ، إنّ الله ابتلانا و إيّاكم بذريّة نبيّه محمّد (ص) ؛ لينظر ما نحن و أنتم عاملون . إنّا ندعوكم إلى نصرهم و خذلان الطاغية يزيد و عبيد الله بن زياد ، فإنّكم لا تدركون منهما إلاّ سوء عمر سلطانهما ، يسملان أعينكم و يقطعان أيديكم و أرجلكم و يمثّلان بكم ، و يرفعانكم على جذوع النّخل ، و يقتلان أماثلكم وقرّاءكم أمثال حِجر بن عدي و أصحابه ، و هاني بن عروة و أشباهه . فسبّوه و أثنوا على عبيد الله بن زياد و دعوا له وقالوا : لا نبرح حتّى نقتل صاحبك و مَن معه أو نبعث به و بأصحابه إلى عبيد الله بن زياد سلماً.

فقال زهير : عباد الله إنّ ولد فاطمة أحقّ بالودّ والنّصر من ابن سميّة ، فإنْ لم تنصروهم ، فأُعيذكم بالله أنْ تقتلوهم ، فخلّوا بين هذا الرجل و بين يزيد ، فلَعمري إنّه ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين (عليه السلام) .

فرماه الشمر بسهم وقال : اسكت أسكت الله نامتك ، أبرمتنا بكثرة كلامك.

فقال زهير : يا بن البوّال على عقبيه ، ما إيّاك أُخاطب ، إنّما أنت بهيمة والله ما أظنّك تحكم من كتاب الله آيتَين ، فأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم . فقال الشمر : إن الله قاتلك و صاحبك عن ساعة . فقال زهير : أ فبالموت تخوّفني ؟ فو الله لَلموت معه أحبّ إليَّ من الخلد معكم . ثمّ أقبل على القوم رافعاً صوته وقال : عباد الله ، لا يغرّنكم عن دينكم هذا الجلف الجافي و أشباهه ، فو الله لا تنال شفاعة محمّد (صل الله عليه وسلم) قوماً هرقوا دماء ذريّته و أهل بيته ، وقتلوا مَن نصرهم و ذبَّ عن حريمهم.

فناداه رجل من أصحابه ، إنّ أبا عبدالله يقول لك : ((أقبِل ، فلَعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح

قومه و أبلغ في الدعاء ، فلقد نصحتَ هؤلاء وأبلغت لَو نفع النّصح والإبلاغ))(1).

(1)تاريخ الطبري 6 / 243.

بدأ زهير بالحمد لله على نعمة الإسلام والقرآن والنبوّة، مؤكداً أن موقفه مع الحسين عليه السلام ليس دنيوياً. والتحريض على نصرة الحسين: دعا مَن حوله إلى الوقوف مع الإمام الحسين لأنه ابن بنت رسول الله. والتحذير من العاقبة: أنذرهم بأنهم إن تركوا الحسين، فسينالهم الذل والهوان قريباً. والتأكيد على الغاية: وضّح أن الغاية من القتال هي الله، وليس مالاً أو جاهًا.

2. خُطبة بُرير بن خضير

واستأذن الحسينَ بُرير بن خُضير في أنْ يُكلّم القوم، فأذن له، وكان شيخاً تابعيّاً ناسكاً قارئاً للقرآن، ومن شيوخ القرّاء في جامع الكوفة، وله في الهمدانيّين شرفٌ وقدرٌ.

فوقف قريباً منهم، ونادى: يا معشر الناس إنّ الله بعثَ محمداً بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله وسراجاً منيراً، وهذا ماء الفرات تقع في خنازير السواد، وقد حيل بينه وبين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أ فجزاءُ محمدٍ هذا؟ فقالوا: يابُرير قد أكثرت الكلام، فأكفُف عنّا، فوالله ليعطش الحسين كما عطِشَ من كان قبله.

قال : ياقوم إنّ ثقل محمدٍ قد أصبح بين أظهركم، وهؤلاء ذُرّيّته وعترته وبناته وحُرَمُه، فهاتوا ماعندكم، وما الذي تريدون أن تصنعوه بهم؟

فقالوا: نُريد أن نُمكّن منهم الأمير عبيدالله بن زياد، فيرى فيهم رأيه.

قال: أفلا تقبلون منهم أن يرجعوا إلى المكان الذي جاؤوا منه؟

ويلكم ياأهل الكوفة أنسيتم كتبكم وعهودكم التي أعطيتموها؟ وأشهدتم الله عليها وعليكم، أدعوتم أهل بيت نبيّكم، وزعمتم أنّكم تقتلون أنفسكم دونهم، حتى إذا أتوكم أسلمتوهم إلى ابن زياد، و حلأتموهم عن ماء الفرات بئسما خَلَفتم نبيّكم في ذُرّيّته. مالكم لا سقاكم الله يوم القيامة، فبئس القوم أنتم؟ فقال له نفرٌ منهم: يا هذا ما ندري ما تقول؟

قال: الحمد لله الذي زادني فيكم بصيرةً، اللهم أبرأُ إليك من فِعال هؤلاء القوم، اللهم ألقِ بأسهم بينهم، حتى يلقوك وأنت عليهم غضبان، فجعل القوم يرمونه بالسِهام، فتقهقر.

ينظر: بحار الأنوار: ج45، ص5. وتاريخ الطبري، ج 4، ص 322 – .

البدء بالحمد لله: كما في كثير من خطب أهل البيت وأصحابهم، يبدأ بالحمد والثناء على الله. والوعي الديني والسياسي: برير يعبّر عن يقينهم بصدق طريقهم، وأنهم على دين النبي بينما خصومهم على ضلالة. والتهديد الشرعي: لا يُهدّدهم بسيف مجرّد بل بسيف المؤمن الذي يثق أن الله معه. وإدانة للخصوم: يستحضر الآية: ألا لعنة الله على الظالمين ليُدينهم بلسان الوحي.

3. **الحر بن يزيد الرياحي**

لما أدرك الحرّ موقف الحسين عليه السلام، وخشي العاقبة، قال – كما في الطبري –: "إني أخيّر نفسي بين الجنة والنار، والله لا أختار على الجنة شيئًا، ولو قُطّعت وحُرّقت."

ثم ضرب فرسه قاصدًا الحسين، وألقى سلاحه، وقال:"يا حسين، جئتك تائبًا نادمًا، قد كنت أول من صدّك عن الرجوع، وجعلت نفسي بينك وبين القوم، فاجعلني أول قتيل من أنصارك، لعلي أكون ممن يرضى الله ورسوله عنه." ثم خرج إلى القوم، وخطبهم فقال: "يا أهل الكوفة! لأمّكم الهبل والعبر، دعوتم هذا العبد الصالح حتى إذا أتاكم أسلمتموه، وزعمتم أنكم قاتلو أنفسكم دونه، ثم عدوتم عليه لتقتلوه؟! ومنعتموه عن ماء الفرات، تشربه اليهود والنصارى، ويمصه الكلاب والخنازير، وهو وعياله يموتون عطشًا؟! بئسما خلفتم محمداً في ذريته! أما والله لا أُسلمكم بيدي، ولا أُقر لكم بإقرَار العبد الذليل." (تاريخ الطبري، ج 4، ص 331)

افتتاح الخطبة بالتقريع واللوم: "لأمّكم الهَبَل والعَبر" أي الخزي والحزن الشديد، وهي تعبير عن الغضب من خيانة الكوفيين لعهدهم. وإدانة النكث: يذكّرهم بأنهم كتبوا إلى الحسين يدعونه، ثم تخلّوا عنه. والاستنكار الأخلاقي: يفضح منع الماء عن الحسين وأهل بيته، في حين أن الكلاب تشرب من الفرات. وإعلان البراءة والانضمام إلى الحسين: يعلن موقفه القتالي قائلاً: "لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل"، فيرمز إلى رفضه الخضوع للطغيان.

هذه الخطبة لم تُلقَ وهو في معسكر الحسين فقط، بل يُعتقد أن جزءًا منها كان لحظة تحوّله، وجزءٌ وهو يقاتل. وتُعدّ نموذجًا نادراً للتحول من صفّ الظلم إلى صفّ الحق، ولذلك عظّمها المؤرخون والمحدثون والفقهاء.

.....

المصدر: تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف 1969م.

الخاتمة

تتميّز الخطب الطفّية بسمات حِجاجية استثنائية، تمزج بين الإقناع العقلي والعاطفي والأخلاقي.

1. تعد خطبة زهير بن القين خطبة تبرز بها البنية الحجاجية، ولقد اعتمد زهير على الحِجاج العقلي والنفسي معاً، وكان خطابه موجّهاً إلى القوم لإثارة ضمائرهم عبر العقل والوجدان. وقد وظف أدواته البلاغية، مثل استخدم أفعال الأمر والنهي والتعليل لإثبات موقف الحسين (عليه السلام) وعدالة قضيته، مثل: "اتقوا الله، فو الله إنّكم لتموتون كما يموت الناس". والخطبة سعت لإعادة إنتاج الوعي الجمعي عبر المنطق الأخلاقي والديني، وحاولت زعزعة يقين الخصوم في شرعية موقفهم.

2. أما خطبة برير بن خضير فقد اتسم خطابه بالوعظ والجدال القرآني، موظفًا مرجعيات دينية لغرض الإقناع. وكانت أدواته البلاغية مثل استخدم الاستشهاد بالقرآن والسنّة، والحِجاج بالمصير الأخرى، مثل قوله: "أبشر يا ابن رسول الله بالجنة، فقد آن الأوان". ومن ضمن خصائصه الحجاجية التي وظفها بـ خطبته كان الحِجاج معرفي – ديني: يقوم على كشف الحقائق الشرعية. والحِجاج تحفيزي: يعمل على تأجيج المشاعر الروحية في النفوس. وأما وظيفته التواصلية: نقل المعركة من بعدها السياسي إلى بعدها العقدي الأخرى، وهذا ما يميز خطابه عن بقية الخطباء.

3. أما خطبة الحر الرياحي فقد اتسمت بارتكاز خطابه على التبرير والتحول الأخلاقي، وكان خطاب اعتذار وتوبة يحمل بعدًا إنسانيًا مؤثراً. ووظف أدواته البلاغية مثل استخدم صيغة السؤال وعبارات الندم والإنابة، مثل: "هل لي من توبة؟" و*"والله ما رأيت لنفسي توبةً إلا بنصرتك يا أبا عبد الله"*. واتسمت خطبته بقوّة الخطاب إذ تكمن في لحظة التحول الحجاجي، إذ قلب موقعه من موقع الجلاد إلى موقع الضحية، واستثمر اللحظة لصناعة خطاب أخلاقي خالد. و خلق خطاب الحرّ حالة وجدانية مؤثرة في وعي المتلقي، تعكس إمكانية التوبة والتحول حتى في أقسى الظروف.

4. والخلاصة نقول : رغم اختلاف الأساليب، فإن الخطب الثلاثة تهدف إلى شرعنة موقف الإمام الحسين ومواجهة خطاب السلطة الأموية. وقد تنوع أدوات الحِجاج: من الحِجاج العقلي، إلى الديني، إلى الأخلاقي، مما يعكس غنى الخِطاب الحسيني وتعدديته. ومن الطابع التداولي، فإنّ الخطاب الطفّي لم يكن مجرد بلاغة، بل كان أداة مقاومة وإقناع ضمن لحظة مفصلية في التاريخ الإسلامي. أما من خلال الوظيفة التأثيرية، فقد كانت الخطب الثلاث تحمل وظيفة تأثيرية عالية، تتجاوز زمنها لتخاطب الضمير الإنساني عبر العصور.

هوامش البحث

(1) معجم تحليل الخطاب:181.

(2) معجم تحليل الخطاب:182 .

(3) معجم تحليل الخطاب:185 .

(4) ينظر : بلاغة الحجاج في النص الشعري :255.

(5) زمن النص: الزمن وتفكيك الوحدة الايدلوجية للنص:107.

(6) المعجم الوسيط: 106/1–107.

(7) ينظر : مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته :268.

(8) أساس البلاغة، الزمخشري تحقيق : عبد الرحيم محمود، ط1 ، دار المعرفة ، بيروت ،لبنان 1998 ، ص:74.

(9) لسان العرب مادة (حجج) : 299/12.

(10) لسان العرب مادة (حجج) : 299/12.

(11) ينظر : منهاج البلغاء وسراج الادباء: 62.

(12) ينظر: الخطابة، ص:226.

(13) نقلا عن بلاغة الحجاج في النص الشعري: 257.

(14) الحجاج في الشعر العربي القديم :21.

(15) الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية: 336

(16) نقلا عن بلاغة الحجاج في النص الشعري : 259.

(17) الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي : 284.

(18) تحليل الخطاب الروائي الزمن – السرد – التبئير)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– المغرب، ط4 ، 2005م ، ص :

(19) تحليل الخطاب الروائي الزمن – السرد – التبئير) : ١٩.

(20) اللغة والخطاب الأدبي، اختيار وترجمة : سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، ط ١، ١٩٩٣م : ٤٨.

(21) ينظر : تحليل الخطاب الروائي الزمن – السرد – التبئير): ١٩.

(22) مقدمة في نظريات الخطاب، ديان مكدونيل ترجمة وتقديم : د. عز الدين اسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠١م : ١٣٣.

(23) ينظر : في نظرية الحجاج – عبد الله صولة – مسكيلياني للنشر – ط / ١ – تونس ٢٠١١٠ ، ص: ١٧.

(24) ينظر : سميائيات الصورة الاشهارية – سعيد بنكراد – افريقيا الشرق – المغرب – ٢٠٠٦ : ٣١ .

(25) ينظر : سميائيات الصورة الاشهارية – سعيد بنكراد – افريقيا الشرق – المغرب – ٢٠٠٦ : ٣١.

(26) ينظر : بلاغة الخطاب المكتوب – الباحثة أمينة رقيق – اطروحة دكتوراة – جامعة خيضر –بسكرة – ٢٠١٣ – ٢٠١٤ ، ص: ١٤٦ ، ١٤٧.

(27) ينظر : الحجاج وتوجيه الخطاب – د باسم خيري خضير – دار نيبور – ط / ١ – ديوانية – ٢٠١٦ ، ص:٢١.

(28) ينظر الحجاج وتوجيه الخطاب : ٢٢ ، 23.

(29) ينظر في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات . أ . د عبد الله صولة مسكيلياني للطباعة والنشر – ط / ١ – تونس ٢٠١١ ،ص: ١٨ .

(30) ينظر : خلاصة المنطق – العلامة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي – مطبعة شريعت . د.ط – قم المقدسة – ١٤٢٧ هـ ص : ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ .

(31) تجليات الحجاج في الخطاب النووي دراسة في وسائل الاقناع الأربعون النووية انموذجاً. الباحث هشام فروم – رسالة ماجستير – جامعة الحاج لخضر – باتنة – ٢٠٠٨ – ٢٠٠٩ ،ص: ٢٣ .

(32) ينظر : فن الشعر – أرسطو طاليس – ترجمة وتحقيق عبد الرحمن بدوي – دار الثقافة –ط / ٢ – بيروت – ١٩٧٣،ص : ٣٨ .

(33) ينظر : مقتل الحسين : ٢٤١ ، ٢٤٢.

(34) ينظر : سحر الكتاب و فن الصورة . د مازن عرفة – التكوين – للترجمة والنشر – ط /١ . دمشق – ٢٠٠٧ ، ص: ٢٠ ، 21)

(35) مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) : ٢٤٢.

(36) مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) :241 .

(37) مقتل الإمام الحسين السلام : ٢٤١.

(38) ينظر : لسان العرب – ج / ١٥ : ١٢٠ ، ١٢١ .

(39) ينظر الاستهلال (فن البدايات في النص الأدبي) – ياسين النصير – دار الشؤون الثقافية العامة ط / ١ – بغداد – ١٩٩٣ ،ص: 14 ، 15.

(40) ينظر: فن القول والبلاغة (دراسات أولية في التنظير و التطبيق) – عبد الله المشبال السنبسي . دار البطليموسي للطباعة والنشر – ط /١ – تونس – ١٩٨٥ : ٣٤.

(41) ينظر : الخطابة : ١٦.

(42) مقتل الحسين السلام : ٢٤٢ .

(43) ينظر : لسان العرب – ج / ٩ : ٢٢٠ .

(44) مقتل الحسين علام : ٢٤١.

(45) المصدر نفسه : ٢٤٢ .

(46) المصدر نفسه : ٢٤٧) .

(47) مقتل الحسين (عليه السلام) : ٢٤٢ .

(48) مقتل الحسين (عليه السلام : ٢٤٢.

(49) ينظر : لسان العرب – ج / ١٥ : ٢٠ .

(50) مقتل الحسين السلام : 242.

(51) مقتل الحسين السلام : 241.

(52) مقتل الحسين السلام : 241.

(53) مقتل الحسين السلام : 241.

(54) مقتل الحسين السلام : ٢٤١.

(55) مقتل الحسين (عليه السلام) : ٢٨٦ .

(56) سلطة الحجاج بالشاهد القرآني في خطبة الزهراء ام . د فاطمة كريم رسن – مجلة الاسنان، العدد ٢٢٢ – المجلد الأول – ٢٠١٧ : ٤٨ .

(57) مقتل الحسين السلام : ٢٤١.

المصادر والمراجع

1. أساس البلاغة، الزمخشري تحقيق : عبد الرحيم محمود، ط1 ، دار المعرفة ، بيروت ،لبنان 1998م.
2. الاستهلال (فن البدايات في النص الأدبي) – ياسين النصير – دار الشؤون الثقافية العامة ط / ١ – بغداد – ١٩٩٣م.
3. الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية، عبد العزيز لحويدق، عالم الكتب الحديثة، إربد، 2023م.
4. بلاغة الحجاج في النص الشعري ، دالية الراعي النميري نموذجا، د. يوسف محمود عليمات، بحث منشور في مجلة جامعة دمشق ، المجلد (29) .د.ت.

5. بلاغة الخطاب المكتوب – الباحثة أمينة رقيق – اطروحة دكتوراة – جامعة خيضر –بسكرة – ٢٠١٣ – ٢٠١٤م.
6. تجليات الحجاج في الخطاب النووي دراسة في وسائل الاقناع الأربعون النووية انموذجاً، الباحث هشام فروم ، رسالة ماجستير ، جامعة الحاج لخضر – باتنة ، ٢٠٠٨ – ٢٠٠٩ م.
7. تحليل الخطاب الروائي الزمن – السرد – التبئير)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– المغرب، ط4 ، 2005 م ، ص :
8. الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيتة واساليبه، سامية الدريدي ،ط/1 ، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن ، 2001م.
9. الحجاج وتوجيه الخطاب ، د باسم خيري خضير ، دار نيبور ، ط / ١ ، ديوانية ، ٢٠١٦ م.
10. الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي ، يمينة تابتي ، بحث منشور في مخبر تحليل الخطاب ، جامعة تيزي وزو، الجزائر، العدد(2) 2007م.
11. الخطابة، أرسطو طاليس، ترجمة ابراهيم سلامة ، مكتبة الأنجلو المصرية،ط/2، القاهرة 1953م.
12. خلاصة المنطق – العلامة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي – مطبعة شريعت . د.ط – قم المقدسة – ١٤٢٧ هـ .
13. زمن النص، الزمن وتفكيك الوحدة الايدلوجية للنص، حركية النص، الايدلوجي، العرفي، جمال الدين الخضور، ط/1، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق ، سوريا 1995م.
14. سحر الكتاب و فن الصورة . د مازن عرفة – التكوين – للترجمة والنشر – ط /١ . دمشق – ٢٠٠٧ م.
15. سلطة الحجاج بالشاهد القرآني في خطبة الزهراء ام ، د فاطمة كريم رسن ، مجلة الاسنان، العدد ٢٢٢ – المجلد الأول، 2017م.
16. سميائيات الصورة الاشهارية – سعيد بنكراد – افريقيا الشرق – المغرب – ٢٠٠٦ م.
17. فن الشعر – أرسطو طاليس – ترجمة وتحقيق عبد الرحمن بدوي – دار الثقافة –ط / ٢ – بيروت – ١٩٧٣م.
18. فن القول والبلاغة (دراسات أولية في التنظير و التطبيق) – عبد الله المشبال السنبسي . دار البطليموسي للطباعة والنشر – ط /١ – تونس – ١٩٨٥م.
19. في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات . أ . د عبد الله صولة مسكلياني للطباعة والنشر – ط / ١ – تونس ٢٠١١م.
20. لسان العرب مادة (حجج)، ابن منظور (ت711هـ)، اعتنى بتصحيحه أمين عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت 1999م.
21. اللغة والخطاب الأدبي، اختيار وترجمة : سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، ط ١، ١٩٩٣م : ٠٤٨
22. مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته ، عباس حشاني، مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة ، الجزائر 2021م .
23. المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى وآخرون،مجمع اللغة العربية، ط/3 ، القاهرة (د.ت) .
24. معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو ودومينيك منغنو، ترجمة عبد القادر المهيري و حمّادي صمّود، مركز الوطني للترجمة ، تونس ، 2008م.
25. مقتل الحسين (عليه السلام)، عبد الرزاق المقرم، مؤسسة الخرسان للمطبوعات، بيروت 2005م.

26. مقدمة في نظريات الخطاب، ديان مكدونيل ترجمة وتقديم : د. عز الدين اسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠١م : ١٣٣.
27. منهاج البلغاء وسراج الادباء، حازم القرجاني، تحقيق 62 محمد الحبيب بت الخوجة، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1981م.
28. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،ط1، بيروت، 2008
29. تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف 1969م.

Sources and References

.1 Asās al-Balāghah, by al-Zamakhsharī, edited by ʿAbd al-Raḥīm Maḥmūd, 1st ed., Dār al-Maʿrifah, Beirut, Lebanon, 1998.
.2 Al-Istihlāl (The Art of Beginnings in the Literary Text), Yāsīn al-Naṣīr, Dār al-Shuʾūn al-Thaqāfiyyah al-ʿĀmmah, 1st ed., Baghdad, 1993.
.3 Theoretical Foundations for Building Reading Networks of Argumentative Texts, ʿAbd al-ʿAzīz al-Ḥuwaidq, ʿĀlam al-Kutub al-Ḥadītha, Irbid, 2023.
.4 The Rhetoric of Argumentation in Poetic Texts: Dāliyyah al-Rāʿī al-Namirī as a Model, Dr. Yūsuf Maḥmūd ʿAlīmāt, published in Damascus University Journal, Vol. 29, n.d.
.5 The Rhetoric of Written Discourse, researcher Amīnah Raqīq, PhD dissertation, University of Kheïder – Biskra, 2013–2014.
.6 Manifestations of Argumentation in the Prophetic Discourse: A Study of the Means of Persuasion in Al-Arbaʿūn al-Nawawiyyah, researcher Hishām Froum, M.A. thesis, University of El-Hajj Lakhdar – Batna, 2008–2009.
.7 Analyzing Narrative Discourse (Time – Narrative – Focalization), Saʿīd Yaqṭīn, al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī, Casablanca – Morocco, 4th ed., 2005.
.8 Argumentation in Ancient Arabic Poetry from the Pre-Islamic Period to the Second Century A.H.: Its Structure and Methods, Sāmiyyah al-Duraidī, 1st ed., ʿĀlam al-Kutub al-Ḥadīth, Irbid – Jordan, 2001.
.9 Argumentation and the Direction of Discourse, Dr. Bāsim Khayrī Khuḍayr, Dār Nībūr, 1st ed., Diwaniyah, 2016.
.10 Argumentation in the Letters of Ibn ʿAbbād al-Rundī, Yamīnah Tābtī, published in Discourse Analysis Laboratory Journal, University of Tizi Ouzou, Algeria, Issue (2), 2007.
.11 Rhetoric, Aristotle, translated by Ibrāhīm Salāmah, Anglo-Egyptian Library, 2nd ed., Cairo, 1953.
.12 Summary of Logic, by Dr. ʿAbd al-Hādī al-Faḍlī, Sharīʿat Press, n.ed., Qom al-Muqaddasah, 1427 A.H.
.13 The Time of the Text: Time and the Deconstruction of the Ideological Unity of the Text; The Dynamics of the Ideological and Conventional Text, Jamāl al-Dīn al-Khuḍūr, 1st ed., Dār al-Ḥaṣād Publishing & Distribution, Damascus, Syria, 1995.
.14 The Magic of Writing and the Art of the Image, Dr. Māzin ʿArafah, al-Takwīn for Translation and Publishing, 1st ed., Damascus, 2007.
.15 The Authority of Argumentation through Qur'anic Evidence in the Sermon of Lady al-Zahrāʾ, Dr. Fāṭimah Karīm Rasan, Al-Asnān Journal, Issue 222, Vol. 1, 2017.
.16 Semiotics of the Advertising Image, Saʿīd Benkrād, Afrique Orient, Morocco, 2006.
.17 Poetics, Aristotle, translated and edited by ʿAbd al-Raḥmān Badawī, Dār al-Thaqāfah, 2nd ed., Beirut, 1973.

.18 The Art of Speech and Rhetoric (Preliminary Studies in Theory and Practice), ʿAbd Allāh al-Mashbāl al-Sanbīsī, Dār al-Baṭlamūsī for Printing & Publishing, 1st ed., Tunisia, 1985.
.19 On the Theory of Argumentation: Studies and Applications, Prof. ʿAbd Allāh Ṣūlah, Miskīliāni Press, 1st ed., Tunisia, 2011.
.20 Lisān al-ʿArab, entry "ḥujjaj," by Ibn Manẓūr (d. 711 A.H.), revised by Amīn ʿAbd al-Wahhāb and Muḥammad Ṣādiq al-ʿUbaydī, Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī, Beirut, 1999.
.21 Language and Literary Discourse, selected and translated by Saʿīd al-Ghānmī, al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī, Casablanca, 1st ed., 1993, p. 48.
.22 The Term 'Argumentation': Its Motivations and Techniques, ʿAbbās Ḥashānī, Al-Makbar Journal: Research in Algerian Language and Literature, University of Biskra, Algeria, 2021.
.23 Al-Muʿjam al-Wasīṭ, by Ibrāhīm Muṣṭafā and others, Arabic Language Academy, 3rd ed., Cairo, n.d.
.24 Dictionary of Discourse Analysis, by Patrick Charaudeau and Dominique Maingueneau, translated by ʿAbd al-Qādir al-Mahīrī and Ḥammādī Ṣammūd, National Center for Translation, Tunisia, 2008.
.25 The Martyrdom of al-Ḥusayn (peace be upon him), ʿAbd al-Razzāq al-Muqarram, al-Kharsān Publishing House, Beirut, 2005.
.26 An Introduction to Theories of Discourse, by Diane MacDonnell, translated and presented by Dr. ʿIzz al-Dīn Ismāʿīl, al-Maktabah al-Akādīmiyyah, Cairo, 1st ed., 2001, p. 133.
.27 Minhāj al-Bulaghāʾ wa Sirāj al-Udabāʾ, Ḥāzim al-Qarṭājannī, edited by Muḥammad al-Ḥabīb b.al-Khūjah, Dār al-Gharb al-Islāmī, Beirut, 1981.
.28Bihar al-Anwar: The Comprehensive Collection of the Pearls of the Reports of the Pure Imams, by Muhammad Baqir al-Majlisi, edited by a committee of scholars and researchers, Al-A'lami Foundation for Publications, 1st edition, Beirut, 2008.
.29 The History of al-Tabari: The History of Prophets and Kings, by Abu Ja'far Muhammad ibn Jarir al-Tabari, edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Egypt, Dar al-Ma'arif, 1969